ABES13

**أحاديث الأذكار والأدعية 30 - فضل التحميد والتكبير والتهليل والتسبيح**

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فالحديث عن فضل التسبيح والتحميد، وكثيرا ما يُقرن بينهما في النصوص.

**عَنْ أبي هريرة** **قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله**: **((كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَـتَـانِ فِي الْـمِـيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ؛ سُبْحَانَ اللَّـهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّـهِ الْعَظِيمِ**)) **رواه البخاري ومسلم**.

هذا حديث عظيم ختم به الإمام البخاري : كتابه الصحيح ، وكان قد بدأه بحديث ((إنما الأعمال بالنيات))، إشارةً منه: إلى أن العمل أول ما يبدأ يكون نية، وآخر أمره يوزن يوم القيامة ثم تكون المجازاة.

وقد بدأ النبي هذا الحديث بأسلوب مشوق، وهذا من كمال نصحه عليه الصلاة والسلام؛ لأن «سبحان الله وبحمده» مبتدأ وخبره «كلمتان حبيبتان»، ولكن النبي عليه الصلاة والسلام أخَّر المبتدأ ليشوق إليه، وأكثر من وصف الخبر تشويقًا وترغيبا.

قوله: **«خفيفتان على اللسان»** أي: ليست تكلف اللسان جهدًا أو مشقة، بل هي خفيفة عليه، وبعض الكلام قد يكون في تركيبه ثِقل وكلمات صعبة النطق ، فيكون فيها شيء من الثقل ، لكنّ هاتين الكلمتين خفيفتان على اللسان.

وقوله: **«ثقيلتان في الميزان»** أي: عندما تُوضع يوم القيامة في الميزان لها ثقل عظيم فيه، وفي هذا إثبات ميزان يوم القيامة ، وهو ميزان حقيقي له كفتان: كفة توضع فيه الحسنات، وكفة توضع فيه السيئات، وهاتان الكلمتان يثقل بهما ميزان حسنات العبد يوم القيامة .

وقوله: **«حبيبتان للرحمن»** أي: أن الله سبحانه يحب أن يسمعها من عبده، مع أنه غني عن تسبيح العبد، فلا تنفعه طاعة من أطاع ولا تضره معصية من عصى، ولكن من عظيم كرمه وكمال إحسانه يحب أن يسمعها من عبده.

وذُكر هنا اسم الله تبارك وتعالى «الرحمن»، إشارة إلى عظم حظ قائلها من رحمة الله؛ فمن حافظ عليها فله نصيبٌ وافر من رحمة الله التي خص بها عباده المؤمنين، **﴿**وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا**﴾**[الأحزاب:43]. وقد خُصَّ لفظ «الرحمن» بالذِّكر: لأنَّ المقصود من الحديث بيانُ سِعة رحمة الله على عباده؛ حيث يجازي على العمل القليل الثواب الجزيل والأجر العظيم.

وقد جمع هنا مع التسبيح في الجملة الأولى الحمد وفي الجملة الثانية التعظيم؛ والحمد فيه إثباتُ المحامد كلّها لله، والتعظيم فيه إثبات العظمة لله، والعظيم: اسم من أسماءه الحسنى وهو دال على عظمة الله في أسمائه، وعظمته في ذاته، وعظمته في صفاته، وعظمته في شرعه.

والتسبيح تارةً يأتي في القرآن مقترناً بالحمد، وتارة يأتي مقترناً بالأسماء والصفات؛ وهنا في هذا الحديث اجتمع النوعين : فقوله «سبحان الله وبحمده» جاء التسبيح مقترنا بالحمد ، وقوله «سبحان الله العظيم» جاء مقترناً بالصفات. وهذا فيه التنبيه إلى أن تسبيح الله تبارك وتعالى لابد معه من حمده وإثبات صفاته، ففي قوله «سبحان الله وبحمده» نزَّه وحمِد، وفي قوله «سبحان الله العظيم» نزَّه وعظَّم. وفي هذا دلالة على أن التسبيح لابد معه من إثبات عظمة الله وكماله في صفاته ونعوته سبحانه ؛ وذلك لأنَّ التسبيح هو تنزيهٌ الله عن النقائص والعيوب، والتحميدُ فيه إثباتُ المحامد كلّها لله ، والإثبات أكملُ مِنَ السّلب، ولهذا لم يَرِد التسبيحُ مجرّداً، ولكن ورد مقروناً بما يدلّ على إثبات الكمال؛ فتارةً يُقرنُ بالحمد كما في هذه النصوص، وتارةً يُقرنُ باسمٍ من الأسماء الدّالة على العظمة والجلال، كقول: «سبحان الله العظيم»، وقول: «سبحان ربّي الأعلى»، ونحو ذلك.

والتنزيه لا يكون مدحاً إلاّ إذا تضمّن معنىً ثبوتيًّا؛ ولهذا عندما نزَّه الله تبارك وتعالى نفسه عمّا لا يليق به ممّا وصفه به أعداء الرُّسل سلَّم على المرسلين الذين يثبتون لله صفات كماله ونعوت جلاله على الوجه اللاّئق به، وذلك في قوله:{سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ(180) وَسَلاَمٌ عَلَى المُرْسَلِينَ(181) وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ}[الصافات:180-182]. وفي هذه الآية أيضاً حمد الله نفسه بعد أن نزّهها؛ وذلك لأنَّ الحمدَ فيه إثباتُ كمال الصفات، والتسبيحَ فيه تنزيه الله عن النّقائص والعيوب؛ فجُمع في الآية بين التنزيه عن العيوب بالتسبيح، وإثبات الكمال بالحمد. وهذا المعنى يرِد في القرآن والسنّة كثيراً، فالتسبيحُ والحمدُ أصلان عظيمان وأساسان متينان يقوم عليهما المنهجُ الحقُّ في توحيد الأسماء والصفات.

فينبغي على العبد أن يجاهد نفسه على الإكثار من هاتين الكلمتين في كل أوقاته، وهي لا تختص بوقت معين وإنما تقال متى شاء العبد، يُحرك لسانه بها ليثقِّل ميزانه، وليفعل أمرًا حبيبًا إلى الرحمن سبحانه .

**ومن فضائل التسبيح والتحميد**: ما رواه الترمذي، وابن حبّان، والحاكم، وغيرهم، من طريق أبي الزبير عن جابر عن النبيِّ أنَّه قال: ((مَن قال سبحان الله العظيم وبحمده غُرست له نخلةٌ في الجنَّةِ)).

**ومن فضائلهما**: ما رواه الطبراني والحاكم من حديث نافع بن جُبير بن مطعم عن أبيه، قال: قال رسول الله : (( **مَن قال سبحان الله وبحمده، سبحانك اللهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلاّ أنت، أستغفرك وأتوب إليك، فقالها في مجلس ذكرٍ كانت كالطّابع يطبع عليه، ومَن قالها في مجلس لغوٍ كانت كفَّارة له** )).

وروى الترمذي وابن حبان والحاكم عن أبي هريرة عن النبيِّ أنَّه قال: ((**مَن جلس في مجلس فكثُر فيه لغَطُه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهمّ ربّنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلاّ أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلاّ غُفر له ما كان في مجلسه ذلك**)).

وعن أبي ذر أن النبي : ((**أفضل الكلام ما اصطفى الله لملائكته: سبحان الله وبحمده** )) رواه مسلم. وفي لفظ آخر للحديث أنَّ أبا ذرّ قال: قال رسول الله  : ((ألا أُخبرُك بأحبِّ الكلام إلى الله؟)) قلتُ: يا رسول الله أخبرني بأحبِّ الكلام إلى الله. قال: ((**إنَّ أحبَّ الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده**)). فدلّ هذا الحديث على عظيم مكانة هذه الكلمة عند الله .

ومِن فضائلهما: ما أخبر به النبيُّ أنَّ مَن قال: سبحان الله وبحمده في يومٍ مائة مرّة حُطَّت عنه ذنوبُه ولو كثُرت؛ ففي الصحيح من حديث أبي هريرة أنَّ النبيَّ قال: ((**مَن قال: سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرّة حُطَّت خطاياه وإن كانت مِثلَ زَبَدِ البحر**)).

وثبت عنه أنَّ من قالها في الصّباح مائة مرّة وفي المساء مائة مرّة؛ لم يأتِ أحدٌ يومَ القيامة بأفضلَ مما جاء به، إلاّ مَن قال مثل ذلك وزاد عليه؛ فقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله : ((**مَن قال حين يُصبحُ وحين يُمسي: سبحان الله وبحمده مائة مرّة لم يأتِ أحدٌ يومَ القيامة بأفضلَ مما جاء به، إلاّ أَحدٌ قال مثل ما قال أو زاد عليه**)) .

فالتسبيح في هذه الأحاديث قرين التحميد، وفي القرآن يقول الله تعالى: {وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ}[البقرة:30]،وقال سبحانه:{تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا}[الإسراء:44] ، وقال سبحانه: {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}[النصر:3]، فكان النبي يقول في ركوعه وسجوده: (( سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي)) يتأوّل القرآن، كما ثبت في الحديث عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فجعل قوله: (( سبحانك اللهم وبحمدك )) تأويل {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ}، وقد قال الله تعالى: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ}[غافر:55]، وقال: {فَسُبْحَانَ اللهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ(17) وَلَهُ الحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ}[الروم:17-18]، والنصوص في اقترانهما كثيرة.

**ومما ورد في فضل التسبيح**: ما رواه مسلم عَنْ سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ الله فَقَالَ: **((أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟))** فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: **((يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ؛ فَـيُـكْـتَبُ لَـهُ أَلْفُ حَسَنَـةٍ، أَوْ يُـحَطُّ عَنْـهُ أَلْفُ خَطِيـئَـةٍ**)).

هذا أسلوب تشويق وترغيب، وكثيرًا ما يأتي مثل هذا الأسلوب في حديثه صلوات الله وسلامه عليه، وهذا من كمال نُصحه لأمَّته، وشدّة حرصِه على نفعهم وارتفاعهم وعنايتهم بذكر الله وبطاعته عمومًا.

قوله **«أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟»**؛ لما قال ذلك عليه الصلاة والسلام تحركت قلوب الصحابة شوقا لمعرفة هذا الأمر، فقال سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: «كَيْفَ يَكْسِبُ أَحَدُنَا أَلْفَ حَسَنَةٍ؟» أي ما الطريقة التي نحصِّل بها هذا القدر من الحسنات؟ فقال عليه الصلاة والسلام: **((يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ**)) أي يقول: «سبحان الله» مائة مرة، **((فَتُكْتَبُ لَهُ أَلْفَ حَسَنَةٍ، أَوْ تُحَطُّ عَنْهُ أَلْفَ خَطِيئَةٍ**))؛ تُكتب له ألف حسنة لأن الحسنة بعشر أمثالها، فهو إذا قال: (سبحان الله) مائة مرة، والحسنة بعشر أمثالها؛ فهذه ألف حسنة.

وهذا ثواب عظيم وأجر جزيل ربما أن المرء يحصّله في دقيقتين أو ثلاث ، والذنوب المكفرةهنا: هي الصغائر ، أما كبائر الذنوب فلابد فيها من التوبة، كما قال تعالى: {إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا}[النساء:31] وقال تعالى: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ}[النجم:32] .

وأسأل الله أن يوفقنا أجمعين لكل خير، وأن يصلح لنا شأننا كله، وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيما؛ إنه سميع الدعاء، وهو أهل الرجاء، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وصلى الله وسلَّم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .